حفرية إنقاذية في بيت راس - إربد ٩/٢٦ - ١٩٩٢/١٠/١٥ م

إعداد إسماعيل أحمد ملحم

مقدمة

تقع بيت راس على ارتفاع ٦٠٠م عن سطح البحر على بعد ٥ كم شمال مدينة إربد، وتقوم القرية الحديثة فوق مدينة (كابيتولياس) إحدى مدن الديكابوليس القديمة.

وقد أشارت عمليات المسح والتنقيب - إعتماداً على الكسر الفخارية والبقايا الأثرية - إلى أن المدينة شهدت استيطانا منذ أواخر العصر الهلنستي (حوالي ١٥٠ ق.م) وحتى الوقت الحاضر. وكانت بيت راس في العصر الروماني مسورة، وشهدت ازدهارا في القرنين الثاني والثالث الميلاديين. وقد كشفت فيها مدافن رومانية إحداها مدفن مقطوع في الصخر مزين برسومات جدارية ملونة، وغالبا ما ترجع هذه القبور للقرنين الثاني والثالث الميلاديين. كما كشف أيضا عن مدافن بيزنطية ومعصرة زيتون داخل كهف يرجح أنها تعود الى القرن الخامس الميلادي، وينتشر في البلدة العديد من آبار المياه والبقايا العمائرية القديمة (إبراهيم ٧٧-١٩٧٨: ٢٠-٣٠ ؛ إبراهيم والكردي ١٩٧٩: ١٥-٢٥؛ Lenzen and McQuitty 1988: 268-269).

وفي الفترة البيزنطية استمر ازدهار بيت راس ومثلت في المجمع الكنسي في نيقيا عام ٣٢٥م ، وكالكيدون عام ٤٥١م ، وقد كشف فيها عن كنيسة من هذه الفترة ، ودخل إسمها في التقسيمات الادارية للدولة الرومانية والمقاطعة العربية في القرن السادس الميلادي (Lenzen and McQuitty 1989: 194-195).

كما تم التعرف على العديد من معاصر العنب في الجهة الجنوبية من البلدة تتكون من مجموعة أحواض لهرس العنب وجمع العصير، وهذا يؤيد صحة المعلومات والأشعار التي ذكرت شهرة بيت راس بصناعة الخمر مثل معجم البلدان لياقوت الحموي وأشعار حسان بن ثابت وأبي نواس (ملحم ١٩٩٢: ١٨٦-١٩٢؛ الحموي - بدون تاريخ - : ٥٢٠).

ويوجد في بيت راس أيضاً نفق لجر المياه منحوت في الصخر، يمتد لأكثر من ١٠٠ متر قصرت جوانبه بلاط كلسي، وكذلك بركة كبيرة الحجم مساحتها تقريبا (٥٥م × ٣٦م × عمق ٧م) تعكف دائرة الآثار العامة على ترميمها منذ عام ١٩٩٢ م.

بداية العمل في موقع الحفر

بناء على إخبارية وردت من أحد المواطنين تفيد بعثوره على غطاء تابوت حجري أثناء عمليات تجريفه لقطعة أرضه في منطقة محاذية للشارع الرئيسي إربد- الحمة في الجهة الشرقية من بيت راس (حي الخرق) مقابل صالة بانوراما للأفراح، توجه فريق مكون من ناصر خصاونة وإسماعيل ملحم الى الموقع في ١٩٩٢/٩/٢٦ (شكل ١) وتقرر إجراء حفرية عرضية للتحقق من طبيعة الموقع الاثري. وتألفت فرقة الحفر من: إسماعيل ملحم، وضياء طوالبه، وعماد عبيدات، ومحمد المستريحي، ومحمود ملكاوي، وقد استمر العمل من ١٩٩٢/٩/٢٦ الى ١٩٩٢/١٠/١٥.وقام مدير عام دائرة الآثار الأستاذ الدكتور صفوان التل يرافقه السيد مفتش آثار إربد بزيارة الموقع وتفقده في ١٩٩٢/١٠/١٣.

أعمال الحفر

لوحظ - قبل البدء في أعمال الحفر - أن عمليات الجرافة قد أضرت بأجزاء من الموقع إذ أزالت الناحية الغربية المحاذية للشارع وهي صخرية، كما أضرت - بشكل كبير - بتسلسل الطبقات في موقع الحفر.

وتم فتح ست مربعات هي: (F, E, D, C, B, A) (شكل ٢) حيث بدأ العمل بالمربعين (B, A) ثم تم التوسع، وفيما يلي وصف لنتائج الحفر في المربعات.

المربعان B, A

قياس المربعين كل على حدة ٤ × ٤م وقد تمت أولا إزالة طبقة الطمم الأولى التي بلغت سماكتها بين ١٠ - ٥٠ سم. ووجد في الجهة الغربية من المربع A قطعتا عملة، كما وجد صف من الحجارة يشبه الجدار بطول ٣٥٠سم × عرض ٤٠-٦٠ سم يتجه غرب - شرق، بُني من حجارة صغيرة ومتوسطة الحجم ثبتت بمونة طينية. ويدل تصميمه على أنه ليس جداراً لمسكن وإنما هو جدار وقائي. وكُشف عن خزان مستطيل الشكل

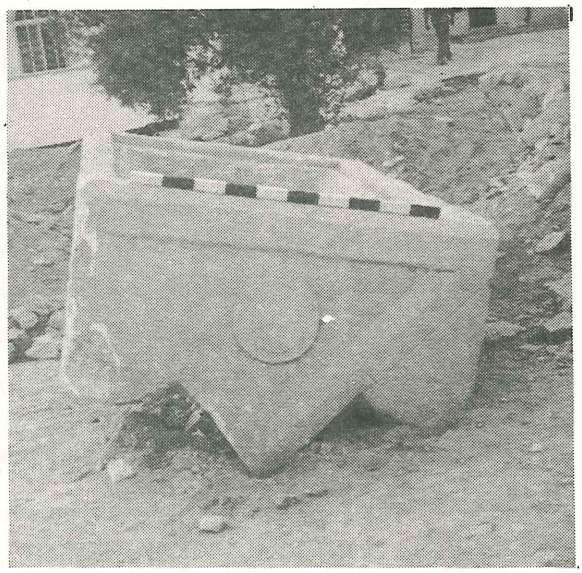

شكل (١ أ) منظر جانبي جهة الجنوب لغطاء التابوت.

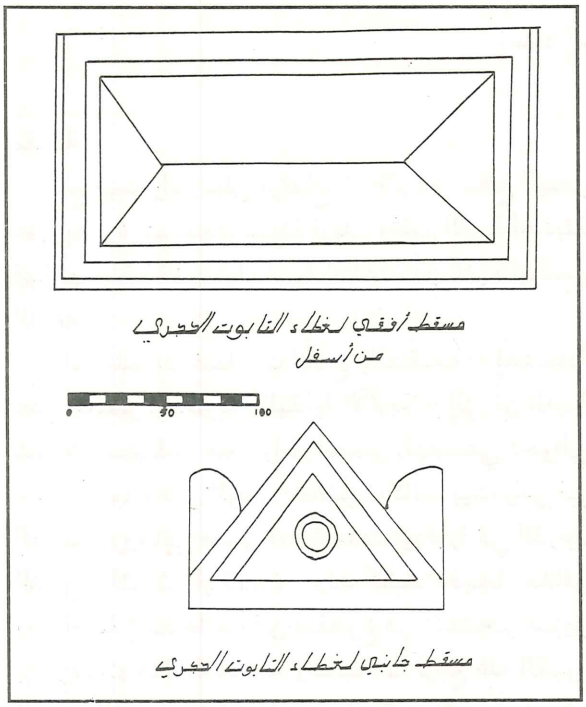

شكل (١ ب) مسقط افقي لغطاء التابوت من الداخل، ومسقط جانبي للغطاء.

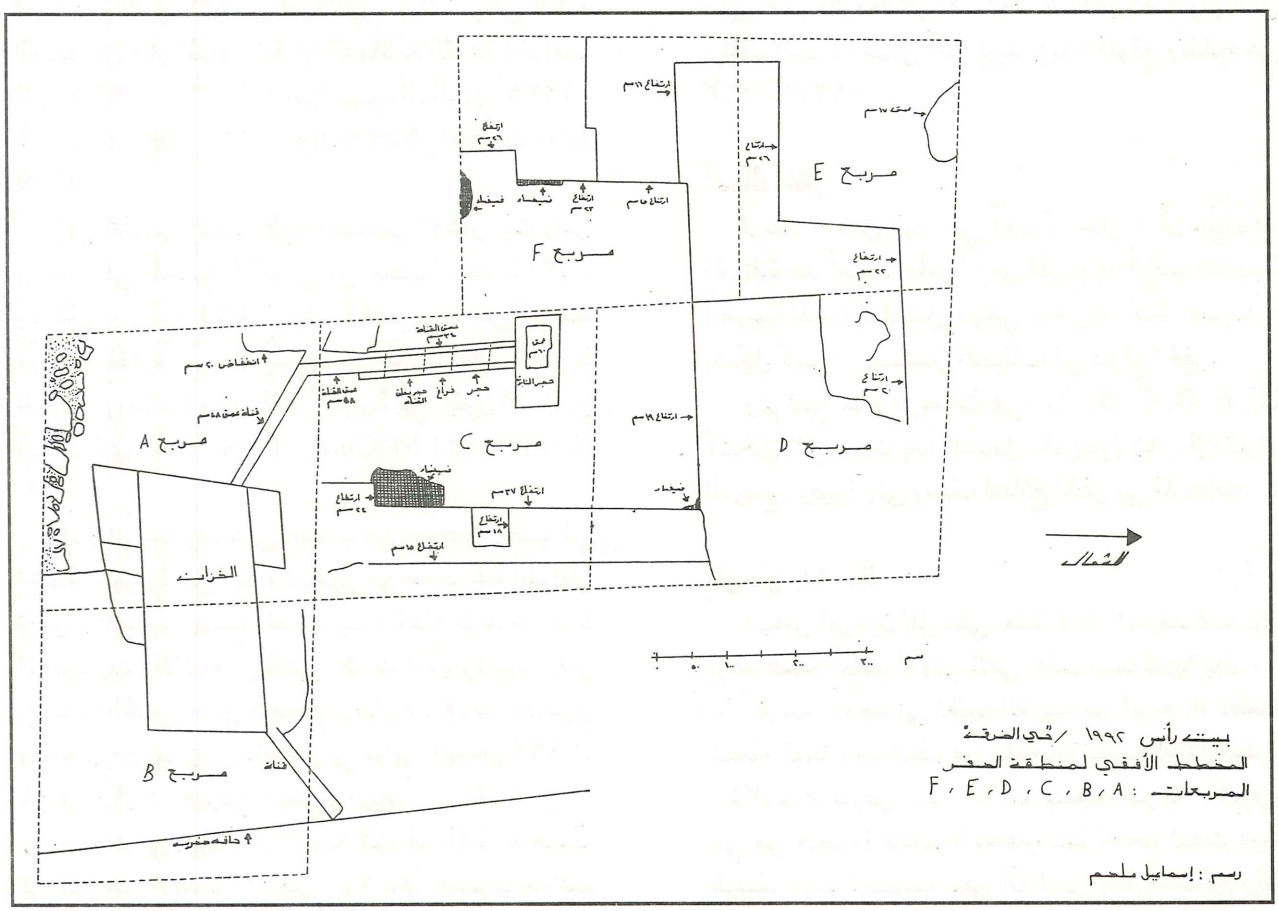

شكل (٢) مخطط منطقة الحفر.

منحوت في الصخر الكلسي الصلب بقياس ١٧٠سم × ٣٨٠سم × عمق ١٨٨-٢٠٠سم نحتت في نهايته الغربية حجرة جانبية بقياس ٢٢٠سم × ١٧٠سم. وعمل في الزاوية الجنوبية الغربية من هذه الحجرة حوض مقطوع في الصخر بقياس ٨٠ × ١٠٠ × عمق ٧٥سم، وفي طرف الحوض مصفاة صغيرة بعمق ١٥ سم (شكل ٣، ٤، ٥).

وكان الطمم الذي يملأ الخزان عبارة عن حجارة صغيرة ومتوسطة الحجم وأتربة وكسر فخارية مختلفة تعود للعصرين الروماني المتأخر والبيزنطي، كما وجد حجران عليهما نقش لصليب، وجزء من تاج عمود حجري (شكل ٦، ٧).

وقصرت جوانب الحجرة الجانبية بقصارة رمادية اللون، كما أن السقف كان مقصوراً، إلا أن القصارة سقطت بفعل الرطوبة، وقد عثر على قطع قصارة السقف أثناء التنقيب. ويلاحظ أن القصارة قد عملت على مرحلتين، القصارة الأولى مكونة من طبقتين: الخارجية ناعمة والداخلية خشنة مخلوطة بحصى ورماد، وسماكة الطبقة الناعمة ١سم والخشنة ٢,٥سم. وخلطت الطبقة الناعمة الخارجية بكسر فخارية رُصعت على القصارة لتعطيها نوعاً من التماسك، وتؤرخ هذه الكسر الفخارية الى العصرين الروماني المتأخر والبيزنطي. أما الطبقة الخشنة فقد عملت من حصى وفحم وشيد.

وتقع القصارة الثانية تحت القصارة الأولى، وتختلف تقنيتها إذ عملت من شيد من دون خلطة خشنة، وتبلغ سماكتها ٤سم، كما قصرت أرضية الحجرة الجانبية بقصارة ناعمة رقيقة بسمك ١سم، ويلاحظ أن ميلان أرضية الخزان يتجه صوب أرضية الحجرة الجانبية.

ووجدت أثناء تنظيف الحجرة الجانبية مجموعة حجارة بعضها مشذب وضعت محاذية للجدار الغربي. وفي وسط الحجرة وجدت عظام لحيوان، ربما كانت عظاماً لحمار أو لحصان.

ويلاحظ وجود قصارة على جزء من الجهة الشمالية من الخزان عملت بتقنية القصارة الأولى في الحجرة الجانبية. ويلاحظ كذلك وجود نحت غائر بعمق ٣-٥ سم في الجهة الشمالية للخزان يشبه سبع درجات يبلغ متوسط ارتفاعها بين ١٧- ٣٦سم بينما يبلغ عرض الدعسة ١٠- ٤٨سم (انظر الشكل ٣)، ويبدو أنه كان مصمماً لعمل درج جانبي للخزان ثم عدل عن ذلك.

كما تم الكشف في الجهة الغربية من المربع (A) عن قناة مائلة تتجه شرق-غرب تتصل بالخزان، ونحت في الجانبين الشمالي والجنوبي من أعلى الخزان نحت غائر يشبه الدرجة بقياس ٥٠× ١١٥سم للشمالي و٦٠ - ٦٥ × ١١٥سم للجنوبي بعمق ١٠سم. ويلاحظ أن الهدف من الجدار الجنوبي الذي عمل محاذياً للخزان هو حماية الخزان. وكشف عن قناة أخرى مائلة تتجه شرق-غرب وتتصل بالزاوية الشمالية-الشرقية من الخزان بطول ١٦٠سم × عرض ٢٥سم × عمق ١٥- ١٠ سم. ولوحظ أن هناك حافة صخرية مشذبة مقطوعة بشكل عمودي بارتفاع ١٥٠سم عن مستوى الشارع الرئيسي وتتجه شمالا أضرت الجرافة بأجزاء منها.

المربع C

يقع هذا المربع شمال المربع (A) بقياس (٤م × ٤م)، وقد كشف فيه عن امتداد القناة المائلة التي في مربع (A)، حيث نحتت في الصخر بعمق ٥٨سم في جزئها الجنوبي و٣٤سم في بقية القناة (شكل ٨). وتبدأ هذه القناة في الجهة الشمالية حيث تتصل من أسفلها بحوض منحوت في الصخر ركب فوقه تابوت حجري لطفل، قطع الجزء الاسفل منه ليستخدم كمركز لتجميع سائل ما، ليجري بعد ذلك في القناة (انظر شكل ٢، ٩، ١٠). ويوجد على الجهة الجنوبية من هذا التابوت زخرفة لنحت بارز يمثل حلقة دائرية الشكل مجدولة من أسفل في الوسط، وفي الجهة اليمنى نحت لرأس طفل، وزهرة على الجهة اليسرى، وهذا التابوت من الحجر الجيري الصلب قياسه ١٢٠ سم × ٦٠ × عمق ٢١ سم وله فتحة شبه مربعة بقياس ٣٠ × ٦٠ سم، أما عمق التابوت والحوض المنحوت في الصخر أسفله فحوالي ٦٠ سم، وقد ثُبّت هذا التابوت الحجري بمونة من القصارة والحجارة المتراصة على أطرافه بحيث كان مستوى سطح التابوت الأعلى على مستوى الأرضية. ولوحظ وجود فترة لاحقة للفترة الأولى في استخدام هذا الموقع، ألغي خلالها عمل القناة بحيث أغلقت الفتحة التي تصل القناة بالتابوت، وأغلقت الفتحة النهائية للقناة المؤدية الى الخزان، كما تم سقف القناة بحجارة مسطحة ثبتت بمونة رمادية اللون، ويتضح ذلك في الجزء الشمالي من القناة، وقد تراوحت أطوال الحجارة المسطحة التي كانت تغطي هذه القناة بين ٤٠ × ٦٠سم - ٤٠ × ٤٠ سم. وجُرب جريان السائل في دخل القناة بوضع كمية من الماء في

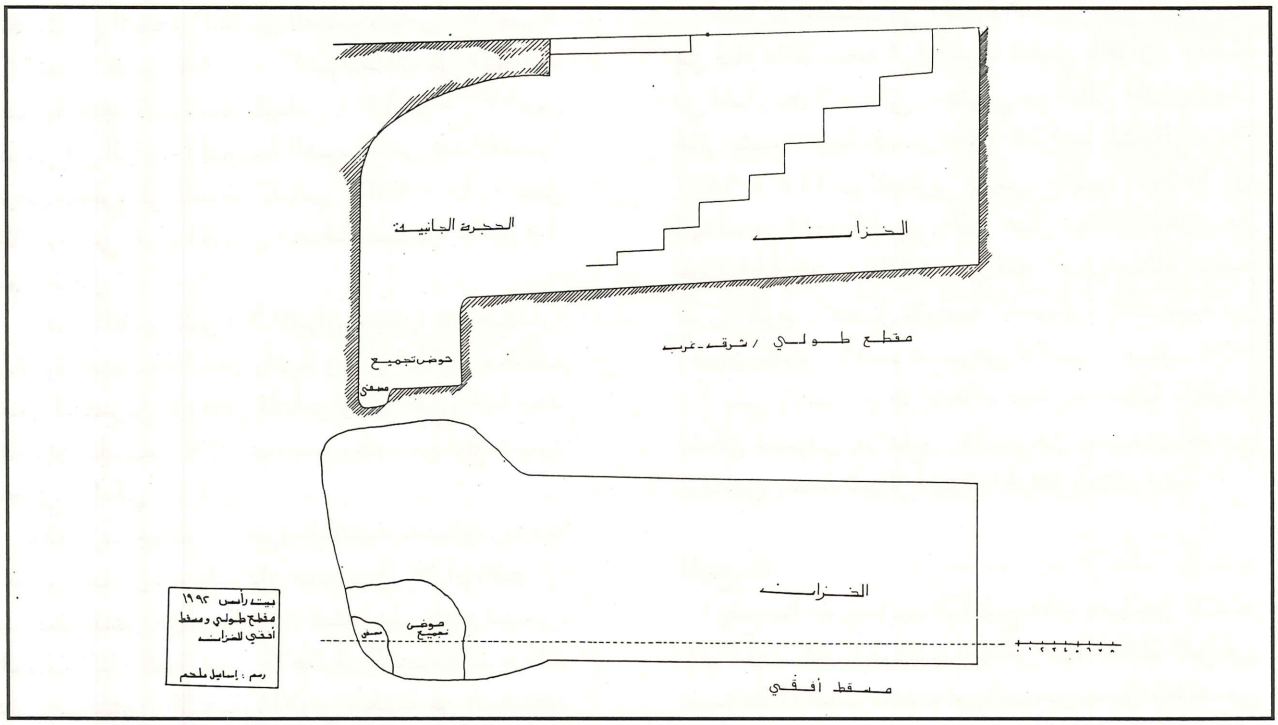

شكل (٣) مقطع طولي ومسقط أفقي للخزان.

شكل (٥) مسقط جانبي لمدخل الحجرة الجانبية في الخزان.

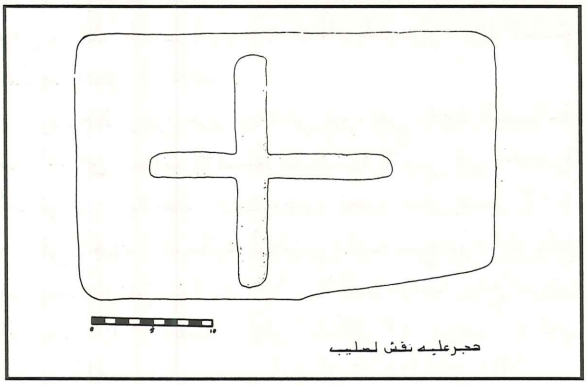

شكل (٦) حجر عليه نقش صليب.

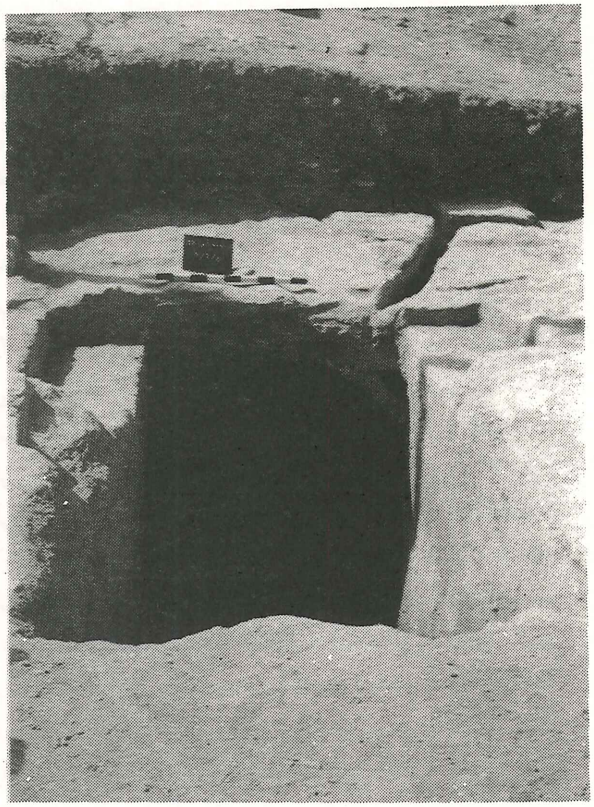

شكل (٤) الجهة الغربية من الخزان وتبدو في الصورة حنية الحجرة الجانبيه والقناة المتصلة بالخزان.

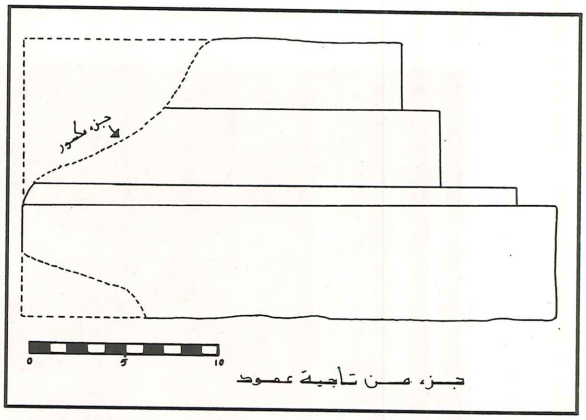

شكل (٧) جزء من تاجية عمود.

حوض التابوت فاتجهت الى داخل الخزان. ولأجل تثبيت الحجارة التي تسقف القناة تم نحت حافة جانبية بعرض ١٢سم على الجانبين في الجزء الشمالي من القناة. وقصرت الأرضية في مربع (C) بطبقة من القصارة سماكتها من ٣-٤ سم دمرت أثناء عملية التجريف أجزاء كبيرة منها، ويوجد أسفل طبقة القصارة طبقة تراب مع حجارة بسماكة ٥سم.

وتم الكشف عن رقعة فسيفسائية صغيرة قياسها ٦٠ × ١٠٠ سم في الجهة الشرقية الجنوبية من المربع (شكل ١١)، وقد عملت رقعة الفسيفساء من مكعبات كبيرة (مساحة سطحها ١ سم × ١ سم) من اللون الأبيض، كما عملت في الجهة الشرقية مصطبة منحوتة في الصخر إرتفاعها بين ٢٤- ٣٧سم عن مستوى الأرضية، ولوحظ أن طبقة رقيقة بسمك ١سم من الحصى الأبيض تغطي رقعة الفسيفساء، ووضع في الجهة المحاذية للمصطبة الشرقية في المربع كسر فخارية رقيقة من الفترة البيزنطية، ويحتمل أن الرقعة الفسيفسائية كانت تغطي أرضية المربع فوق القصارة ولها امتداد في المربعين (F, D) في المنطقة الواقعة بين المصاطب الجانبية، حيث تم العثور على بقايا فسيفسائية في المربعين المذكورين (أنظر شكل ٢).

المربعات F, E, D

المربع (D) قياسه ٥ × ٤م، والمربع (E) قياسه ٣ × ٨٠ ,٣م، والمربع (F) قياسه ٤ × ٤م. وقد نحتت في المربعات الثلاثة مصاطب متصلة بشكل درجات متوالية الارتفاعات وجميعها ذات حواف منتظمة، ويبلغ ارتفاع المصطبة في المربع (D) ١٩سم، بينما يبلغ ارتفاع المصطبة في مربع (E) ٢٦ سم، وارتفاع المصطبة في المربع (F) ٤٢-٥٠سم، وقد نحتت أسطح

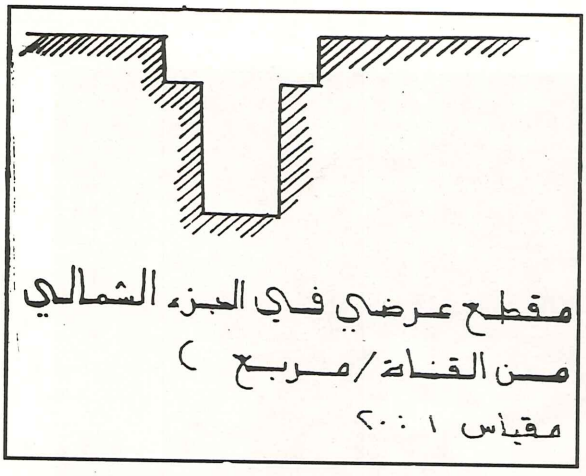

شكل (٨) مقطع عرضي في الجزء الشمالي من القناه.

المصطبات بشكل مسطح مستو، وتم الكشف عن بقايا لرقع فسيفساء في المربع (F) عملت مشابهة لما عثر عليه في المربع (C) مما يشير الى أن المنطقة المقصورة بين المصاطب وحول الحوض المتصل بالقناة كانت مرصوفة بالفسيفساء (شكل ١١، ١٢).

استنتاج

دلت عملية التنقيب في هذا الموقع على وجود فترتين زمنيتين في استخدام المرافق التي عثر عليها، وتبين ذلك من خلال وجود قصارتين على جوانب الحجرة الجانبية في الخزان، وإضافة سقف للقناة، ووضع تابوت طفل حجري ليستخدم كجزء من الحوض المقطوع في الصخر المتصل بالقناة، ورصف الأرضية بالفسيفساء، كما كشفت عملية التنقيب عن آثار إغلاق الأقنية، وإلغاء الحوض في استخدام لاحق، ويمكن تفسير ذلك بطرح الاحتمالات التالية:

إن مرافق الموقع استخدمت كمعصرة عنب، حيث أن النظام العام للمرافق يعزز هذا الاحتمال إذ يشمل منطقة متوسطة تحيط بها مصاطب متفاوتة الارتفاع، ويبدو أن الفترة الأولى في استخدام المعصرة كان في الفترة الرومانية المتأخرة (حوالي القرن الثالث الميلادي)، ومن بقاياها طبقة القصارة السفلى على جوانب الحجرة الجانبية من الخزان ونحت المصاطب والحوض والأقنية والخزان، أما الفترة الثانية في استخدام المعصرة فقد تبين أنها من الفترة البيزنطية وحتى الفترة الأموية، إذ وجدت في طبقة القصارة العليا على جوانب الحجرة الجانبية من الخزان كسر فخارية من الفترة البيزنطية، كما قصرت أرضية

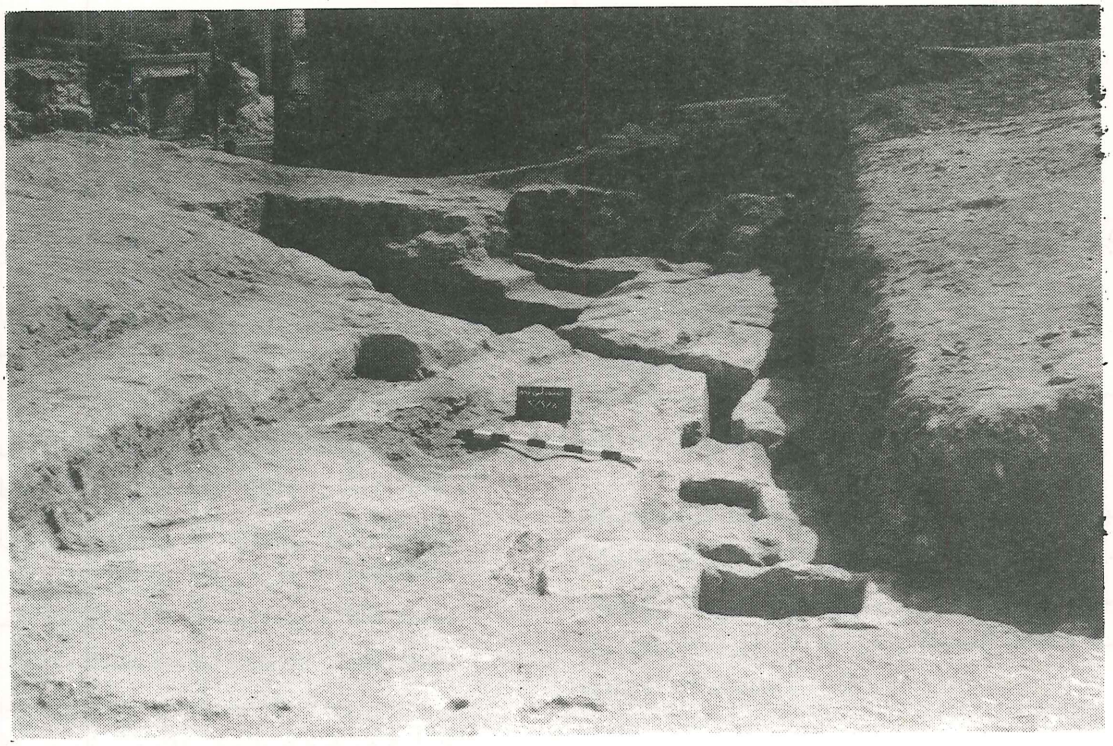

شكل (٩) حوض تجميع السائل المتصل بقناة تنتهي بالخزان.

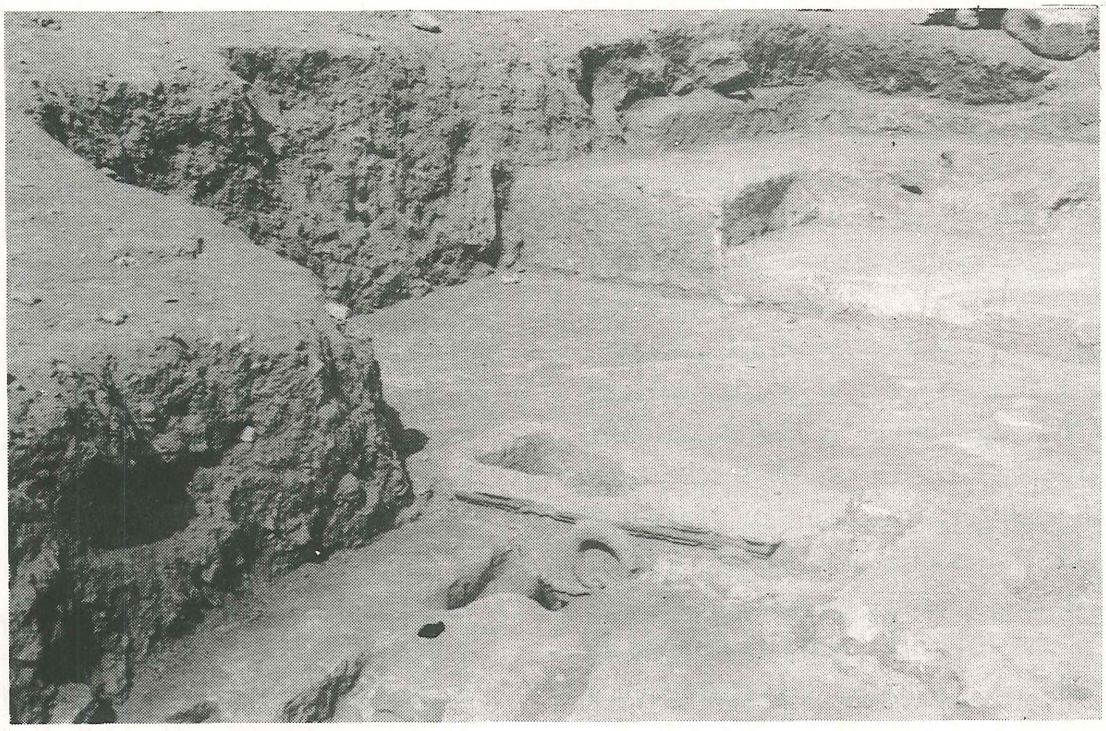

شكل (١٠) حوض تجميع السائل الذي نحت من حجر كلسي صلب وهو عبارة عن تابوت طفل أعيد استخدامه. وتظهر المصاطب في خلفية الصورة.

شكل (١١) الرقعة الفسيفسائية التي عثر عليها في المربع C.

المنطقة المتوسطة بين المصاطب وأضيف تابوت الطفل الحجري فوق الحوض الصغير. ويبدو أن نظام العصر في هذه المعصرة تطور بتطور تقنية عصر العنب، ويظهر ذلك من خلال التفسير التالي:

نظام العصر في الفترة الأولى

تجلب كميات العنب من الكروم وتنشر على المصاطب الجانبية ثم توضع في المنطقة التي تتوسط المصاطب للقيام بدوس العنب بالأرجل بحيث يسيل عصير العنب إلى الحوض المقطوع في الصخر، ومنه إلى القناة التي تنتهي بالخزان الذي يجمع فيه العصير، حيث أعدت لجمع العصير حجرة جانبية في الجهة الغربية من الخزان قطع في أرضيتها حوض صغير مزود بمصفاة جانبية لتلقي العصير وترسيب شوائبه، وعلى الأغلب أن معظم مرافق المعصرة كانت بغير قصارة باستثناء جوانب الحجرة الجانبية من الخزان التي عثر فيها على طبقة القصارة الأولى السفلى. أما فيما يتعلق بسعة الخزان فمن الصعب تقديم تفسير مؤكد بشأن فائدة تلك السعة لعمليات عصر العنب، ويحتمل أن كميات من العنب كانت توضع فيه قبل بدء عمليات العصر بحيث تسيل عصارة العنب الناتجة عن ضغط ثقل العنب المتراكم إلى حوض تجميع العصير.

شكل (١٢) منظر عام للمصاطب والقناة والحوض والخزان.

نظام العصر في الفترة الثانية

يبدو أنه قد طرأ تطور على نظام العصر حيث سقفت الأقنية بصفائح حجرية صغيرة، وقصرت أرضية دوس العنب التي تتوسط المصاطب، ورصفت بالفسيفساء، ودل على ذلك بقايا القصارة والرقع الفسيفسائية التي تم اكتشافها، وهي ذات لون أبيض. كما ثبت فوق حوض تجميع العصير الذي يرتبط بالقناة حجر كلسي صلب هو جزء من تابوت طفل صغير يستخدم - على الأغلب - كقاعدة لتثبيت العمود الملولب المزود بذراع متحرك (المكبس) للضغط على كوم العنب الموضوع في طبقات بواسطة سلال مسطحة، ومن ثم يسيل العصير الى القناة، ومنها الى حوض تجميع العصير الذي نحت في الجهة الغربية من الخزان، وهذا التطور التقني يمكن ملاحظته في عدة معاصر مثل معصرة عنب رحبوت (ديران) على الساحل الفلسطيني (Roll and Ayalon 1981: 111-124)، ومعصرة عنب رجم الكرسي في عمان.

وبذلك فإن هذه المعصرة تعتبر من المعاصر الكبيرة نسبياً في المنطقة وذات الانتاج العالي، وهي تثبت صحة الكتابات التاريخية والأشعار بغنى بيت راس بمعاصر العنب. ويبدو أن استخدام هذه المعصرة استمر حتى الفترة الأموية لوجود كسر فخارية أموية، والعثور على قطعة عملة من الفترة الأموية من فئة الفلس على وجهها عبارة: لا إله إلا الله وحده، وعلى ظهر القطعة عبارة: محمد رسول الله. وتؤرخ عادة للفترة ٧٧-٧٩هـ (شكل ١٣د).

أما فيما يتعلق بغطاء التابوت الحجري الكبير الذي عثر عليه أثناء عمليات التجريف (انظر شكل ١)، فلم يثبت وجود علاقة بينه وبين المرافق التي عثر عليها، غير أنه عثر في وقت لاحق في ١٩٩٢/١١/٢٣م، وعلى بعد بضعة أمتار جنوبي هذا الموقع على قبرين منحوتين بالصخر يعودان -على الأغلب - إلى العصر الروماني المتأخر، مما يعزز

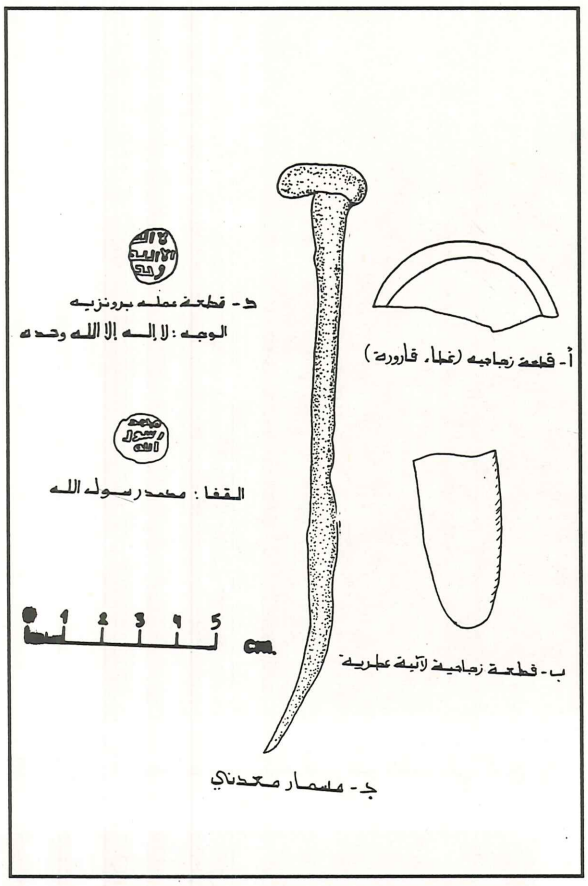

شكل (١٣) اللقى الأثرية من الموقع.

الاعتقاد بأن غطاء التابوت الصخري كان لقبر قريب من الموقع.

ملاحظة

عثر على مسمار معدني أثناء الحفر وكسر زجاجية (شكل ١٣أ، ب، جـ)، أما الكسر الفخارية التي عثر عليها فتعود للفترات الرومانية والبيزنطية والأموية.

اسماعيل ملحم
مكتب آثار اربد
دائرة الاثار العامة

المراجع

ابراهيم، معاوية
١٩٧٨-٧٧ الحفريات الأثرية في الأردن ١٩٧٦ - ١٩٧٧. **حولية دائرة الآثار العامة ٢٢**: ٢٠-٣٠.

ابراهيم، معاوية والكردي ،حنان
١٩٧٩ التنقيبات الأثرية في الاردن ١٩٧٨ -١٩٧٩. **حولية دائرة الآثارالعامة ٢٣**: ١٥-٢٨.

الحموي، ياقوت
بدون تاريخ **معجم البلدان**، المجلد الاول. بيروت: دار صادر.

ملحم، اسماعيل
١٩٩٢ **معاصر عنب اليصيلة، دراسة مقارنة.** رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة اليرموك.

Lenzen, C. and McQuitty, M.
1988 The 1984 Survey of the Irbid / Beit Ras Region . *ADAJ* 32: 265-272 .
1989 Beit Ras (Capitolias). Pp. 193-195 in D. Homés-Fredericq and J.B. Hennessy (eds), *Archaeology of Jordan, II.1. Field Reports.* Akkadica Supplementum VII. Leuven: Peters.

Roll, I. and Ayalon, E .
1981 Two Large Wine Presses in the Red Soil Regions of Israel. *PEQ* 113: 11 - 124 .